International Journal of Language Academy
ISSN:2342-0251
Research Article

Volume 8/2 Special Issue March 2020
p. 210-233

ArticleHistory:
Received
03/01/2020
Received in revised form
06/01/2020
Accepted
28/02/2020
Available online
07/03/2020

THE MENTAL ILLNESS IN THE MORPHOLOGICAL LESSON AND THE POSITION OF THE CONTEMPORARIES – A DESCRIPTIVE ANALYTICAL STUDY-

Mahmood Fawzi ABDULLAH[1]

Abstract

The preface is the mental vowel in the Arabic morphology and it's scientific and didactic effects. Search ContentWhen the Linguistic science with its two types; structural (sentence) and Singular (phonetic and Pronunciation) in the beginning of its shape it is affected by the surrounding sciences and it would give and take. This thing can be easily observed in its philosophical and technical sides by the old and contemporary specialists such as Ibn Matha Al-Qurtubi (592-) Finally the conclusion in which we have mentioned the most important results we have already concluded, then the recommendations and a list of resources and references. Under the light of the contemporary linguistic sciences. We have explained that the contemporaries are two types the first is the preservers of the tradition while the second is the rejector for that idea. The second section is entitled the attitude Situation of the contemporary from it. We try in this research paper to shed light on a significant theme which is the Vowels such as (the mental vowel in the Arabic morphological lesson). There would be a preface, introduction and two sections ended by a conclusion. The reason that stands behind choosing this theme in order to open the door to a wide education.

Key Words: Mental illness, morphology, contemporaries.

[1] Dr. Assistant Professor - Iraqi university, mahmood.alkubaisy@gmail.com

العِلّة العَقليّة في الدّرس الصّرفيّ ومَوقِف المُعَاصرين مِنْهَا(دراسة وصفية تحليلية)

د. محمود فوزي عبد الله الكبيسي– الجامعة العراقية

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية

ملخص

لما كان الدرس اللغوي العربي بشقيه التركيبي (الجملة)، والإفرادي (الصوت واللفظ) يتأثّر بما يحيط به من علوم؛ لاسيما إذا كان هذا الدرس في بدايات تكوينه ونشأته، فإنّه بلا شك سيدخل عليه ما ليس منه، وهذا الأمر يمكن أن يلاحظ في جوانب كثيرة من تفاصيله الفنية، والفلسفية، وقد لاحظ المعاصرون هذا التأثّر كما لاحظه المتقدّمون أمثال ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ)، ونحن في بحثنا هذا إذ نحاول أن نسلطَ الضوء على جانب واحد من أصول هذا الدرس وهو جانب مهم له باحة واسعة من النظر والتأويل والصناعة، ألا وهو جانب العلل ومنها (العلة العقلية في الدرس الصرفي العربي)، وقد حاولت أن أتجرد في النظر إليه بلا انحياز إلى طرف إلا تحيّزا إلى الدليل والبرهان الثابت؛ لنفتح بابا لدراسةٍ أوسع، تلمُّ شعث هذا الموضع على نطاق أوسع وعنوانات أشمل

- **الكلمات المفتاحية** : العلة العقلية ، العلة الصرفية ، العلة والمعاصرون .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ووعدنا بدَارِ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

وبعد ..

فإنّ الباحثين دأبوا على الخوض في الدراسات التعليلية لعلم النحو منذ القرون الهجرية الأولى فظهرت لنا المؤلفات الخاصة بذلك بعد أن كانت متناثرة في الكتب النحوية ومن هذه المؤلفات العلل في النحو، لقطرب بن محمد بن المستنير (ت:206هـ) ، وعلل النحو، لأبي عثمان بكر بن المازني (ت:248هـ)، ولم تكن الدراسات التعليلية الصرفية بمعزل عنها بل كانت مبثوثة بين طيّات العلل النحوية، وبعد ذلك كان للقياس أثرٌ واضح جليٌ لاسيما في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي النحوي وتلميذه ابن جني فبدأت العلل العقلية تظهر في الدرس الصرفي وتطوّر الأمر حتى سار عليه المحدثون إلا أنّ هناك من المعاصرين من كان له موقف من هذه العلة العقلية، ومن هنا تنبع أهمية البحث إذ إنّ يكشف لنا عن الوجوه التعليلية في الدرس الصرفي العربي القديم، ومدى انسجامها مع المعطيات الحديثة في الدراسة المعاصرة، وكذلك بيان أثر العقل في الأحكام اللغوية التي تمّ استنباطها، وكذلك سد الحاجة في المكتبة العربية فمثل هكذا أبحاث لها مسيس الحاجة للدرس والنظر، وفق مبدأ اللغة؛ لتصحيح المفاهيم والنظريات اللغوية في الدرس العربي. ومن هنا كانت انطلاقتي في هذا البحث فوسمته بـ (**العلة العقلية في الدرس الصرفي وموقف المعاصرين منها _ دراسة وصفية تحليلية**)، وقد اقتضت طبيعة البحث الموجزة أن تكون على مبحثين يسبقها تمهيد، تناولت فيه العلة العقلية في الصرف العربي لغة واصطلاحا وأثرها العلمي والتعليمي وذكرنا فيه المديات التي وصلت إليها هذه العلة وأسبابها ومنطلقاتها المنهجية.

أمّا المبحث الأول فضمَّ موقف القدماء من العلة العقلية، وآليات التوظيف، ذكرت فيه أهم التوجّهات في هذا الباب وأبرز القائلين بها مع نماذج مختارة من التعليل، وجاء المبحث الثاني بعنوان: موقف المعاصرين منها في ضوء العلوم اللغوية المعاصرة، بيّنا فيه مسلك المعاصرين من هذه العلة ليكونوا على قسمين الأول وهو المحافظ على المورث الذي يرى بمقبولية التعليل بهذه العلل ونحوها، والآخر

وهو الرافض لهذه الفكرة مستنداً على المعطيات البحثية في علم اللغة الحديث، ثم أتبعته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث والتوصيات في بابه، ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

أولاً : العلة العقلية: لغةً واصطلاحاً :

قال ابن فارس: "علَّ: العين واللام ثلاثة أصول صحيحة، ... العائق يعوق، قال الخليل: العلّة حدث يشغل صاحبه عن وجهه، ويقال: اعتله عن كذا؛ أي: أعاقه، قال: فاعتله الدهر وللدهر علل"(2) .

والعلة مأخوذة من مادة (عَلَلَ)، وعلّل الشيء يعلله تعليلاً، فهو معلِّل؛ أي: أثبته بالدليل، وعِلّةُ الشيء سببه، فالعلة هي السبب(3) .

وهذا ما ذهب إليه أحمد مختار عمر بقوله: "علّل موقفه: بيّن علّته، فسّره، أثبته بالدَّليل والبرهان"(4) .

والعلّة العقلية: مصطلح مركب من أمرين، الأول: السبب، والآخر: العقل؛ أي: استعمال العقل في اثبات الدليل والسبب .

ولم أجد فيما بحثت فيه عن مصطلح العلة العقلية في الدرس الصرفي تعريفاً اصطلاحياً يوضّح هذا المصطلح ويبينه للقارئ، ويمكن لنا أن نصوغ تعريفاً اصطلاحياً للعلة العقلية بقولنا: هي العلة التي يكون العقل فيها وحده المسؤول عن استنباط الدليل تفكيراً واستنتاجاً ولا دخل للغة فيها .

وهذا الدليل يأخذ صوراً متعددة وانماطاً مختلفة أساسها القياس وما ألحق به من وجوه الاستدلال(5) .

(2) مقاييس اللغة: 14/4 ، مادة (علّ) .
(3) ينظر: لسان العرب: 472/11 ، وتاج العروس: 44/3 .
(4) معجم اللغة العربية المعاصرة: 1540/2 .
(5) ينظر: أثر الدليل العقلي في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية: 12 .

ثانياً : أسباب التعليل بالعلة العقلية :

إنّ النظر في كتب اللغة والصرف تحديداً يجد أنّ الحاجة إلى التعليل بشكل عام هي حاجة تعليمية في الدرجة الأساس، وهذا ما لمسناه في العلل والأصول التي اعتلّ بها الصرفيون واللغويون الأوائل وهم يتناولون مسائل اللغة؛ لذلك جاءت تعليلاتهم مختلفة متنوعة، ومنها العلة العقلية؛ لذلك صرّح الخليل بن احمد الفراهيدي بأن من وَجَدَ علة هي أرجح ممّا اعتلت به فلْيَعتلْ بها، قال: "إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعْتلتُ أنا بما عندي أنه علة لما علَّلته منه فإن اكن اصبت العلة فهو الذي التمست ... فإنّ سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها " [6] .

إنّ العلة العقلية في طبيعتها الأولى لم تكن سوى علة بسيطة مستنبطة من الفطرة السليمة وإن كانت أصولها فلسفية أو منطقية إلا انها يسيرة سهلة التناول وكانت إلى الجزم أقرب منها إلى الجدل والتأويل[7]، حتى تطور هذا الأمر؛ أي: الاستقلال بهذا العلم- أعني علم العلل – فصنّف فيه العلماء كتباً، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر :

1. العلل في النحو، لقطرب بن محمد بن المستنير (ت:206هـ) .
2. علل النحو، لأبي عثمان بكر بن المازني (ت:248هـ) .
3. الإيضاح في علل النحو، لأبي قاسم الزجاج (ت:337هـ) .
4. علل النحو، لأبي الحسين محمد بن الوراق (ت:381هـ) .
5. علل التثنية، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت:392هـ) .

ومن المحدثين المعاصرين :

(6) الإيضاح في علل النحو: 66 .

(7) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: 26-27 .

1. العلّة النّحوية، نشأتها وتطوراتها، الدكتور مازن مبارك .
2. نظرية التّعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، الدكتور حسين خميس سعد الملخ .

وفضلا عن هذه الكتب تناول العلماء قديماً العلة جزءاً من القياس الذي يعد أحد الأصول النحوية التي اعتمدها النحاة قديماً وكلها قديمها وحديثها ما تزال تتكلم عن العلل وانواعها .

ثالثاً : منطلقاتها المنهجية:

انطلقت العلة العقلية من منهجين في الدرس اللغوي، يمكن رصدها على النحو الآتي:

1. الغاية التعليمية .
2. الغاية الجدلية التأويلية .

أولاً: الغاية التعليمية : نشأت في البصرة دراسات قرآنية كانت تهتم بإقراء القرآن ودراسة قراءاته ومناقشتها وتفسير آياته وتخريجها على ما ورد في كلام العرب من معانٍ للألفاظ أو ظواهر أسلوبية توضح اختلاف قراءاته .
فالملاحظ على هذه الدراسات في بداية التكوين هي الغاية التعليمية لخدمة كتاب الله العزيز[8] .

غير أنّ هذه الغايات التعليمية سرعان ما تطورت بتطور الدراسات والحياة الثقافية العلمية لتأخذ مناحٍ جديدة تتفق والدوافع الاجتماعية في نشأة النحو، وهي تعد دافعاً مكملاً للدافع التعليمي الاستنباط وما سببه اختلاط العرب بغيرهم من الأمم ومعرفة ثقافاتهم ومناهج العلوم لديهم[9] . ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره سيبويه في اللواحق التصريفية للكلمات، وقد علّل تعليلاً يسيراً منسجماً مع المنهج الوصفي إلى حدٍ قريب مع ما قيل من تعليلات عقلية، يقول: "واعلم أنّ التثنية إذا لحقت الأفعال

(8) ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي: 40 .
(9) المدارس النحوية، شوقي ضيف: 25 .

المضارعة علامة للفاعلين لحقتها ألف ونون، ولم تكن الألف حرف الإعراب؛ لم ترد أنْ تثنّى يفعل هذا البناء فتضم اليه بفعل آخر، ولكنك إنّما ألحقته هذا علامة للفاعلين، ولم تكن منونة، ولا يلزمها الحركة لأنّه يدركها الجزم والسكون فتكون الأولى حرف الإعراب والثانية كالتنوين، فكلما كانت حالها في الواحد غير حال الاسم، وفي التثنية لم تكن بمنزلته، فجعلوا إعرابه في الرفع ثبات النون لتكون له في التثنية علامةً للرفع كما في الواحد إذ منع حرف الاعراب"[10] .

فمثل هذه التعليلات التي يعلل بها سيبويه، فهو يستخدم القياس والنظير والمنطق في ايرادها وهي سهلة وواضحة على المتعلمين لا لبس فيها ولا غموض وإن كان ثمة صعوبة في التعليل فهو راجع إلى طبيعة العصر الذي دوّن فيه النحو العربي[11] .

ثانياً :الغاية الجدلية:

المقصود بها الغاية التي يراد منها إثبات رأي اخر سبب أو علةٍ لحكم ما لا لأجل التعليم والايضاح للآخرين حجم اللغة بل لأجل الانتصار للرأي بأي طريقة كانت، وهذه الحجج والعلل لم تكن في العهد الأول للدرس اللغوي اطلاقاً بل جاءت بعدما اصبح علم اللغة علماً للتكسّب والشهرة والجاه فاستغل أمر العلة في القرنين الثالث والرابع الهجريين[12]، ممّا ساعد على هذا دخول العلوم الأخرى إلى العربية كالمنطق والقياس والجدل والفلسفة، ونجد إشارة ذلك في قول أبي علي الفارسي (ت:377هـ)، يقول: "إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما يقوله نحن فليس معه منه شيء"[13] .

(10) كتاب سيبويه: 19/1 .
(11) ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي: 38 .
(12) ينظر: العلة النحوية بين القدماء والمحدثين: 99 .
(13) إنباء الرواة على أنباء النحاة: 294/2 .

فهذا النصُّ يُظهر لنا مدى الأثر البالغ للعقل في الدرس اللغوي العربي، وكيف تطورت هذه العلل لتصبح ضرباً من المنطق والجدل[14] .

ويعد أبو البركات الأنباري (ت:577هـ) من أبرز العلماء الذين تأثروا بالعلة العقلية وأخذوا بها في الدرس اللغوي، يقول: "اعلم أنّ أنواع الاستدلال كثيرة لا تحصر"[15] .

وبعد هذا القول قسّم العلل العقلية إلى:

1- الاستدلال بالتقسيم .

2- الاستدلال بالأوْلى .

3- الاستدلال بالأصيل .

4- الاستدلال بالاستحسان .

5- الاستدلال بالعدمية، أي: عدم وجود الدليل دليل على نفيه .

ومن هنا يمكن القول إنّ أبا البركات الانباري يُعد "المنظّر الأول لهذه الأدلة بعد الاستفادة ممّا وضعه ابن جني في الخصائص الذي يعود إليه فضل السبق في الطرح الأول ليكون أبو البركات الانباري رائد التنظيم والتبويب والتنسيق والمناقشة، وجاء هذا بعد دراسته الواسعة لعلم الجدل ومعرفته لطريقة المتكلمين في الاستدلال، فقد استعار من علم الكلام موضوع الاستدلال العقلي"[16] .

(14) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 150 .

(15) لمع الأدلة: 127 .

(16) أثر الدليل العقلي في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية: 13 .

قال ابن جني: "فأمّا الأسماء الأعجمية ففي حكم الحروف في امتناعها من التصريف والاشتقاق؛ لأنها ليست عربية، واذا كان ضربٌ من كلام العرب لايمكن فيه الاشتقاق ولا يسوّغ فيه التصريف مع أنه عربي، فالأعجمي بالامتناع من هذا أوْلى"[17] .

فهذه حجة عقلية مستنبطة من القياس، ولربما تُعد الحجة بالأوْلى هي أخفُّ الحجج العقلية لأنّها قياس فطري إنساني، ولذلك عرّفها أصحاب الاصطلاح بأنّها: "المفردة فوق كل صفة عقلية، ومنطقية"[18] .

ولهذه الاسباب فالكتب الأولى كانت لا تخلو منها وأبسط مثالٍ على هذا كتاب سيبويه الذي جاء مليئاً بها[19] .

المبحث الأول

مواطن التعليل العقلي في الصرف العربي ــ دراسة ونقد

إنّ الطبيعة التعليمية لتعليم اللغة تعتمد كثيراً على التعليل للإجابة عن الكثير من التساؤلات فهي بحاجة ماسة للعلة وإنّ المتعلم متى ما كان على دراية باللغة لاسيما بالحدث الكلامي كان استيعابه وادراكه المعرفي أكبر لذلك وجدنا أنّ التعليل لم يترك من أمور اللغة إلّا ودخل فيها على مستويات مختلفة، ففي الصرف كان التعليل يقدم على (الصوت والحرف والكلمة)، وسنأخذ نماذج من هذه التعليلات قاصدين الاختصار والشمول، وسنبدأ بالصوت لأنّه أصغر وحدة في بنية الكلمة، فالكلمة مجموعة من الأصوات ذات معنى .

(17) المنصف في شرح التصريف: 16/1 .
(18) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: 136 .
(19) ينظر: الكتاب: 17/1 ، و 93/2، و 3، 10 ، 95/4 ، ... الخ .

أولاً: التعليل للصوت:

يُعدُّ عبد القاهر الجرجاني (ت:474هـ) من أعلام المدرسة الكلامية في الدرس اللغوي، جاء في المقتصد قوله في باب (لحاق همزة الوصل لغير المصادر من الأسماء)؛ فإن قلت: إنّكم عدلتم عن الظاهر من حيث اثبتم همزة وصل مفتوحة، وأصلها الكسر، فالجواب: إنّ هذا عدول عن الظاهر يقبله القياس، وذلك أنّ الهمزة لما جعلت موصولة إلى صرف غُيّرت لنقلها من بابٍ إلى بابٍ وكان فيه الخفة من حيث ذكرنا أنّ اللام تدغم في كثير من الأمر، والكسرة تستثقلُ مع التضعيف، فإذا جاز لك أنْ تقول: إنّ الهمزة المقطوعة وُصِلتْ لكثرة الاستعمال، كان قولي: إنها فُتِحَتْ لذلك أوْلى، من حيث أنك تحذف الحرف رأساً وأنا أُغير الحركة، وهذا واضح "[20] .

ومن افتراضات الشيخ الجرجاني أيضاً :

قوله: " وإذا لم يلحق التنوين لم يصير الاسم في اللفظ إلى صرف واحد، وإذا كان كذلك صار الواجب أنْ تقول: (شاهِيّ) في النسب إلى (شاهٍ)، فإن قلت: كيف لم تقل (شَوهيّ)، فتعيد الواو الة سكونه ليَسلَم من الانقلاب إلى الألف بعد أن رددت اللام؟ فالجواب أنّ الحركة لما تثبت للواو في جميع الكلام لسقوط اللام ثُمّ ردّ في النسب، كان ذلك كالعارض، فلم يُعدل عن الذي ثبت له في أكثر الأحوال فتركا متحركاً، واذا بقيت الحركة فيه لزم قلبه ألفاً فلهذا قالوا: (شاهِيّ)، ولم يقولوا (شوهِي)"[21] .

والملاحظ على هاتين المسألتين جملة من الأمور:

(20) المقتصد في شرح التكملة: 253/1 .

(21) المقتصد في شرح التكملة: 419/1 .

الأول: الأسلوب العقلي الحجاجي الذي اتبعه الجرجاني في عرضه للمسائل الصوتية الصرفية وما طرأ عليها من تغيير في قوله: (قلت، قلنا) .

الثاني: استخدام الجرجاني المزاوجة بين الافتراض والاستدلال بالأولى، وكأنه لا يناقش مسألة لغوية بل مسألة من مسائل المنطق[22] .

الثالث: اتبع معيار القلة والكثرة في اثبات حجية المسألة والحكم عليها .

رابعاً: عدم الاحتكام إلى اللغة والاستشهاد عليها من فصيح الكلام نظماً ونثراً بل ذهب يغوص عمقاً في المنطق بأسلوبه الجدلي ليثبت الحكم في المسألة .

خامساً: رغم ما تقدم من النقاط آنفة الذكر إلا أنّ هذه الحجج لا تخلو من ملمح وصفي في قوله: (قالوا، ولم يقولوا).

سادساً: إن مثل هذه التعليلات وأخواتها لايحتاج إليها المتعلم كثيراً بل هي للمجادلة والتأويل وإدراك المسائل، ولو شئنا أنْ نأتي إلى هذه التعليلات، فنحذفها ونقول بدلاً منها هكذا نطقت العرب لكان أوْلى ولم يَضرنا بعد هذا القول شيء .

سابعاً: إنّ مثل هذه التعليلات الصوتية قد تصطدم بواقع اللهجات العربية التي تزخر بها الجزيرة العربية ومنن يستشهد بكلامهم، ومن هنا تأتي قضية الاستقراء التي لم تأخذ حقها بالشكل الصحيح، وهي مسألة طويلة من مسائل أصول النحو العربي التي ذهب الباحثون فيها كل مذهب[23].

(22) ينظر: التعليل الصرفي في كتب الصرف حتى نهاية القرن الخامس الهجري: 272 .

(23) ينظر: الاستقراء الناقص وأثره في النحو العربي: المقدمة .

ثانياً: التعليل للحرف :

جاء في دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب من علماء القرن الرابع الهجري، قوله: "فإن قال قائلٌ: فهل يجوز لمن اتبع الواو ما قبلها في (ياجل)، أن يقول في (سَخَوتُ): (سَخَاتُ)، وفي: (دَعَوتُ): (دعاتُ)، فيجعل الواو فيها ألفاً؛ لانفتاح الخاء والعين قبلها، كما جعل الواو في (ياجل) ألفاً لانفتاح ماقبلها؟ قُلتُ: لا . فإنْ قال: لِمَ ؟ .

قلت: من قبل أن (فَعَلتُ) بفتحة العين أصلٌ لا يغيّرُ بحال، نحو: (سخوت ودعوت)، وجاز التعبير في الواو في: (يَوْجَلُ) إلى الألف؛ لأنّ (يوجل ويوصل) فرعان قد صحتْ الواو في أصلهما، إذ قالوا: (وَجِلتْ) فإذا صحت الواو في الأصل احتملوا لها السَّقم في الفرع مع لنهم لو قالوا (سَخَاتُ)؛ لخرجت الواو والياء إلى صورة الهمزة، كقولك: (قرأتْ ونشأتْ)"[24] .

ومن أشكال التعليل العقلي عند ابن المؤدب في باب الحرف قوله في السياق ذاته: "فإن قال قائل: فهل يجوز أن تصير الواو ألفاً في (الموعد)، فيقال (ماعد)، كما صُيِّرَتْ ألفاً في (يوجل) فقيل: (ياجل)؛ قلت: لا، فإن قال لِمَ ؟

قلتُ: لأنَ (موعداً) له أخوات لم تتغيّر، مثل (موقف وموزن) وما اشبههما، و (ياجل) تغيّرت الواو في أخواته مرةً إلى الياء ومرة إلى الألف، لهذا المعنى لم يجز تصيير الواو ألفاً"[25] .

وفيما عرضناه من أمثلة التعليل للحروف ومحاولة اثبات العلّة النحوية التي تتعلق بها فإننا نجد الأمور الآتية:

1. لجأ ابن المؤدب في تعليلاته العقلية، إلى:

أ. الافتراض .

---

(24) دقائق التصريف: 227-228 .

(25) دقائق التصريف: 228 .

ب. النظائر.

ج. الكثرة والقلة.

د. عدم اللبس.

وهذه التعليلات هي عماد التعليل الصرفي العقلي .

2. حاول ابن المؤدب أن يكون واضحاً بسيطاً في طرح الرأي الصرفي غير متكلفٍ معتمداً لأسلوب الحجاج أيضاً .

3. قد ينسحب ما قلناه آنفاً هنا من عدم الحاجة إلى الافتراض والرد على الرد ... الخ من أساليب الكلام وذلك يتنافى والغاية التعليمية من هذا الدرس، والغريب أن نجد مثل هذه الأشياء والاعتناء بها عند ابن مؤدب .

4. العناية بالعلة وعلة العلة عند ابن المؤدب في مسائله التعليلية واضحة جداً من خلال هذين النصين، فلا ريب أنّ عصر ابن المؤدب هو عصر العلوم والازدهار الثقافي[26] .

ثالثاً: التعليل للكلمة :

أوّل ما يطالعنا في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي بركات الأنباري (ت:577هـ)، مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم، وهذه المسألة من أشهر مسائل الاجتماع للكلمة، ولربما أمكننا القول بأنّ الفريقين – البصريين والكوفيين – قد استدلا بكل ما أوتوا من حجج واهية وغير واهية، فاستغرق عرضُ هذه الحجج بعشر صفحات من كتاب الانباري " [27] .

ولنا تلخيص ما استدلوا به، ولنبدأ باستدلالات البصريين على أنه هو الأصل، فنقول:

1. المصدر يدل على زمن مطلق، والفعل يدلُ على زمن معين .

(26) ينظر: المصدر نفسه: مقدمة المحقق: 9 .

(27) الخلاف وأثره في تفسير الصرف: 194 ، وينظر: المسألة الخلافية في كتاب الانصاف: 190/1، رقم المسألة: 28.

2. المصدر اسم وهو يقوم بنفسه والفعل لايقوم بنفسه .

3. المصدر يدل على شيء واحد وهو الحدث، وليس الفعل هذا .

4. للمصدر صيغة واحدة بخلاف الفعل .

5. الفعل يدلُّ على ما يدلُّ عليه المصدر، والمصدر لا يدلُّ على ما يدلُّ عليه الفعل .

6. عدم قياسية المصدر دليلٌ على أصالته .

7. تسمية المصدر بالمصدر دليل على أصالته [28] .

وقال الكوفيون لإثبات أنّ الفعل هو الأصل بالآتي:

1. المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، فالمصدر تابع للفعل .

2. الفعل يعمل في المصدر، والعامل أولى بالأصل .

3. المصدر يأتي مؤكداً لفعله، وهذا دليل أصالته .

4. المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل .

5. المصدر سُمِّي بذلك لأنّه مصدور عن الفعل [29] .

وغيرها من الحجج الفرعية التي تندرج ضمناً فيما ذكرناه، والناظر في هذه الحجج يجد أنّ الكوفيين والبصريين قد لخصوا لنا الحجج التي استعملوها في درسهم اللغوي بهذه المسألة لوحدها، ربما كل حجة عقلية تندرج فيما عرضناه لحججهم، ولنا الوقفة الآتية مع هذا النضوج العقلي :

1. أي حَكَمٍ يمكن أن يُحكِّمَ لأحد الفريقين على الآخر، وكلاهما ينطلقان من فرضيات وظنيّات ليس لها وجود .

(28) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: 190/1.

(29) المصدر السابق : 1/ 192 .

2. إذا كان علم العربية به حاجة لهذا الذي زعموا، فما هي فائدته؟! سوى ابراز المقدرة العقلية والتخلص بالحجج على ما يذهبون إليه .

هذه الحجج التي عرضناها في التعليل للصوت والحرف والكلمة إنّما هي علل مستنبطة من العقل لا تخضع للدليل اللغوي الذي ينطلق من مبدأ الوصف والقياس، وليس معنى ذلك أنْ تُهمل العلل العقلية جملة وتفصيلاً بل هي مهمة جداً لاسيما العلل اليسيرة منها من أمثال علل ابن المؤدب ومن سبقه من النحاة الأوائل، وذلك لأن العلم مناط بالعقل، والعقل سبيل العلم، لذلك نوكد أنْ تُشذّبَ هذه العلل لتؤدي الدور التعليلي والعلمي منها على حدٍ سواء بلا مبالغات وافراط حتى يمكن الحفاظ على الغاية المنشودة بوسيلة مناسبة .

المبحث الثاني

موقف المعاصرين من العلّة العقلية

قبل الحديث عن موقف المعاصرين من العلة العقلية لابد من أن نبين أنّ المقصود من المعاصرين في عنوان بحثنا هذا من كان يحمل افكاراً حداثوية تنسجم مع التطورات اللغوية الحديثة، فليس من المعقول أن يطلق هذا المصطلح – أعني المعاصرين – على الباحثين الذين يستخدمون الأدوات اللسانية القديمة فقط، فهم ينتمون إلى العصر القديم تفكيراً ومنهجاً .

فالمعاصرون هم الباحثون الذين يمتلكون الأدوات والمناهج اللسانية الحديثة، وهذه المقدمة لأبدّ منها للتأسيس .

مفهوم العلة الصرفية في الدراسات عند المعاصرين :

لقد طارت الركبان بمقولة العالم السويسري دي سوسير: " الرأي عندي أنّ لجميع هذه الصعوبات حلاً واحداً فقط[30]، وهو أنْ نضع لكلتا قدمينا منذُ البداية على أرض اللغة ونستخدم اللغة مقياساً لجميع مظاهر اللسان " [31] .

هذا يعني أنّ العقل لن يكون سيداً من سادات الدرس اللغوي، فاللغة هي التي تحكم العقل وليس العقل من يحكم اللغة؛ لأنّ اللغة اعتباطية .

ولذلك فللتعليل اللغوي عند المعاصرين غايتان:

الأولى/ تفسيرية: وهي تفسير الظواهر اللغوية بحسب اللغة فقط وما ينتج عنها .

والأخرى/ تحليلية: وهي تكون وفق منهج علمي يقوم على مبدأ الوصف أولاً ثم التحليل الذي يكشف عن العلاقات المختلفة للغة ثانياً [32] .

ويمكن أنْ نقسّم موقف المعاصرين من التعليل العقلي والعلة العقلية من خلال الإطار المعرفي والمنهج الفلسفي لكل فريق. ويبرز في الساحة الألسنية فريقان يمتلكان منهجين مختلفين في النظر الى اللغة:

الأول/ المنهج الوصفي الألسني .

والآخر/ المنهج التوليدي التحويلي .

ومن خلال هذين المنهجين يمكننا رصد أوجه الشبه والاختلاف في المواقف من استخدام العقل في تفسير الظواهر اللغوية .

---

(30) يقصد صعوبات الدراسة اللغوية .

(31) علم اللغة العام: 24 .

(32) ينظر: دراسات في علم الأصوات، داود عبده: 4 .

المنهج الوصفي والعلة العقلية:

إنّ المتتبع لإجراءات المنهج الوصفي لا يكاد يجد أثراً من آثار العقل فيها إلا من ناحية ربط أحداث السلسلة اللغوية، وهو ما يدخل ضمن باب الوصف المعلل، ورائد هذه الدراسة العالم السويسري فرديناند دي سوسير الذي ينطلق الى العقل" فاللغة وحدها – بين كثير من المظاهر الثنائية – يمكن أن تخضع على ما يبدو لتعريف واحد مستقل قائم بذاته، وتقدم في الوقت نفسه الركيزة التي ترضي العقل"(33)، ثم يشير الى شيءٍ من العقلية اللغوية، فيقول في هذا الصدد: " اللسان غير متجانس، أمّا اللغة – حسب تعريفنا لها – فمتجانسة بين المعاني والصور الصوتية، وكلا طرفي الإشارة سايكولوجي" (34) .

غير أن هذا النظام لا يوصف من خارج اللغة بمحددات العلوم الأخرى بل يدرس من داخلها ويفسر على أساس هذه اللغة .

وعلى هذا فالتعليل النطقي إنّما هو فرض من الاحتمال أو التحليل، ويقول دي سوسير: " بل اختيار شريحة معينة للتعبير عن فكرة معينة عملية اعتباطية محضة ولو لم يكن هذا صحيحاً لقلّت فكرة أهمية القيمة " (35) .

أي أنّ أي تعليل للغة ما يخضع لموازين الخطأ وعدم المقبولية، لأن الشيء إذا بُنِيَ على الاعتباط فقدَ كل قيمة تعليلية له (36) .

ولنأخذ مثالاً عملياً عن موقف المعاصرين من العلة العقلية ومحاولة الجنوح الى غيرها، فذهب العلماء الى تقسيم (اسم الفعل) من حيث الزمن الى اسم فعل مضارع كـ(وي)، والى اسم فعل أمر كـ(صه)،

(33) علم اللغة العام: 27 .
(34) علم اللغة العام: 33 .
(35) المصدر السابق: 132 .
(36) ينظر: الخلاف الصرفي وأثره في تفسير الصرف: 273 .

وكذلك قولهم في الأسماء الأصوات، كـ(هلَا) لزجر الخيل و (كخ) للطفل، و (سه) للقطة، فهي لا تحمل علامات الأسماء ولا علامات الأفعال .

وعلى هذا فهذه (الخوالف)[37] أو اسماء الأفعال والأصوات: تمتاز عن بقية أمثلة الكلم الفصيح من حيث المبنى والمعنى، فهي تمتاز من حيث:

1- الرتبة: فهي تأتي من ضمائر معينة، وإن الرتبة بين المخالفة وبين ضميتها محفوظاً .

2- من حيث الصيغة: إنّ جميع هذه الخوالف صيغ مسكوكة Idioms ، ومن هنا كانت محفوظة الرتبة كما سبق مقطوعة الصلة بغيرها من الناحية التصريفية .

3- من حيث الإلصاق: نرى هذه الخوالف من حيث الالصاق الأفعال حيناً والأسماء والصفات حيناً، والأدوات حيناً ثالثاً، ولكنها لا تعد من أي قسم منها.

4- من حيث التضام: فهي مخصوصة بضمائر معينة .

5- من حيث الزمن: فلا زمن لها معين .

6- من حيث التعليق: فهي تقدّم بدور المسند فقط .

7- من حيث المعنى الجملي: فهي بمعنى الانشاء فقط [38] .

ومن هذه النقاط فقد بان للقارئ اختلاف الخوالف عن بقية أقسام الكلام .

(37) هذا المصطلح استعمله .

(38) ينظر: اللغة العربية، معناها ومبناها: 117-118 .

فالملاحظ على هذا من الامثلة هو النظر المحدد: أي الطبيعة التركيبية للكلم العربي بعيداً كل البعد عن أي تفسير فلسفي أو عقلي غير مرتبط باللغة .

ويسرد الدكتور عفيف دمشقية طائفة من التعليلات غير اللغوية للغويين العرب من قولهم بثقل بعض الكلام " فالأفعال اثقل من الأسماء لأنّ الأسماء هي الأولى، وهي أشدّ تمكناً؛ لأنها معربة فمِن ثَمّ لم يلحقها تنوينٌ ولحقها الجزم والسكون، وانما هي من الأسماء " (39) .

وهنا يتساءل الدمشقية مستفهماً: " ثم ما العلاقة بين كون الأفعال أقلُّ تمكناً من الأسماء – أي كونها مبنية – وبين عدم لحوق التنوين بها؟ " (40) .

ولربما كان من الواجب أن يقال في كثير من الأمور اللغوية (هكذا خلقت) ؛ لأن لا تخضع كل الخضوع لمنطق معين، فهذه الصيغة العقلانية التي مهدت الدرس اللغوي وفرضت عليه منهج التعليل ومستلزماته فكان لها أسوء الأثر حين وضع النحاة قواعدهم الكلية وفقاً لتلك المستلزمات وبمعزل عن الاستعمال اللغوي، وهذه الحالة من عقلنة اللغة التي أوقعت عصر الاستشهاد عند طبقة الاسلاميين ورفض ما جاء على ألسنة المحدثين حتى وإن كان موافقاً للكلام العربي الأصيل أو كان قائله من العرب الخُلّص الأقحاح (41) .

فهذان الموقفان من التعليل الافتراضي العقلي هو انموذج واضح لموقف العلماء العرب المعاصرين من العلة العقلية في الصرف العربي خاصة والدرس اللغوي عامة .

(39) الكتاب: 1/20-21 .

(40) المنطلقات التأسيسية والفنية الى النحو العربي: 135 .

(41) المصدر السابق: 139 .

المنهج التوليدي التحويلي :

بعد مرور النصف الأول من القرن العشرين ومنهج المدرسة الوصفية لم يزل قائماً حتى ظهرت بواكير المدرسة الأمريكية عام 1957م على يد عالم اللغة جومسكي الذي استطاع بفكره الرياضي أن يحوّل مجرى الدرس اللساني صوب جوانب أكثر ثراء في التحليل ورصد البيانات للظاهرة اللغوية (42) ، ويرى اصحاب هذا الاتجاه أنّ الحدث اللغوي له ارتباط في نفس الانسان من عوالم عقلية وشعورية تؤثر في الحدث اللغوي وتشكله بهذا الشكل أو ذاك.

وبهذه الحال لا يمكن تحرير اللغة من العقل، فهذا الدرس " يحاول أن يفسر ظواهر اللغة تفسيراً عقلياً يناسب أهميتها ويكشف عمّا ورائها من دوافع عقلية ومنطقية " (43)، يقول جومسكي في كتابه: " وعند البحث في استخدام اللغة نجد أنّ الكلمات يتمُّ تقسيمها من طريق عوامل ، مثل: البنية المادية، التصميم، الاستخدام المقصود والمميز، دور المؤسسات. ويمكن أنْ تعود المفاهيم إلى أصل أوسطي"(44) .

نرى أنّ جومسكي يعوِّل على العقل البشري في التعامل مع قضايا اللغة .

وليس معنى هذا أنْ يجرّد اصحاب هذه المدرسة من السياق أو انزياح الدلالات أو المواضعة في التفسير بدليل قوله آنفاً، بل يكون للعقل الدور الأبرز في التحليل .

وسنكتفي بعرض هذين المنهجين لأنهما يمثلان مدرستين عالميتين لدراسة اللغة تأثر بهما العلماء من مختلف الثقافات ومنهم علماء العربية .

(42) ينظر: علم اللسانيات الحديث: 256 .

(43) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: 189 .

(44) اللغة والعقل واللغة الطبيعية: 37 .

الخاتمة

في ختام بحثي أودُّ أنْ أذكر بعض الملحوظات النقدية التي تَبَيَنت لي فيما تقدّم من وريقات عرضي لهذه الفكرة:

1. الاتجاه العقلي هو اتجاه مقبول ؛ لأنّ العقل هو سيد الموقف الكلامي؛ لذلك لا ضير في –نظر الباحث– من اللجوء إليه في تفسير ظواهرها .

2. لا يمكن إطلاق مبدأ التفسير العقلي على عوامه من دون أنْ يقيّد بمقيدات المعرفة اليقينية المستندة على نتائج التجارب المختبرية .

3. لقد كانت بعض تعليلات علمائنا المتقدمين العقلية لا تخضع إلا لمبادئ الفلسفة والمنطق، وهذا مرفوض من أي طرف صدرت عنه مثل هذه العلل .

4. قد تكون العلة العقلية سبيلاً من سبل تيسير الدرس اللغوي وتوضيحه إذا حَسُنَ استعمالها الاستعمال الأمثل بعيداً عن الإفراد والتفريط .

والحمد لله رب العالمين، وهو الموفق إلى هادي السبيل .

المصادر والمراجع

1. أثر الدليل العقلي في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية، أطروحة دكتوراه، أدريس ريمي، كلية اللغة والآداب – الجزائر ، 2017 – 2018م .

2. الاستقراء الناقص وأثره في النحو العربي، محمد بن عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، ط/1، 2011م.

3. الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين ابن محمد الأنباري (ت 577 هـ)، تح : سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ – 1957م .

4. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط/1، 1406 هـ – 1982م.

5. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، المكتبة العصرية، ط/1، 1424هـ- 2003م .

6. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزَّجَّاجي (المتوفى: 337 هـ)، تح: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس – بيروت، ط/5، 1406 هـ –1986 م.

7. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية الأثر والتأثّر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب_ مصر، ط/2، 1976م .

8. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، (د.ط.ت) .

9. دراسات في علم الأصوات، داوود عبدة، مؤسسة الصباح _ الكويت، د.ت .

10. دقائق التصريف، لأبي قاسم محمد بن سعيد المؤدّب، تح: حاتم صالح الضامن و حسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي_ بغداد، 1987م .

11. علم اللسانيات الحديث، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء _ عمان، ط/1، 2002م .

12. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ت: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية_ بغداد، 1985م.

13. الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3، 1408 هـ - 1988 م.

14. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط/3، 1414 هـ .

15. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسّان، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، 1973م .

16. اللغة والعقل، اللغة والطبيعة، نعوم جومسكي، ت: رمضان مهلهل، دار الشؤون الثقافية_ العراق، ط/1، 2005م.

17. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل _ أربد ، ط/3، 2001م.

18. المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف_ مصر، ط/7، 1992م.

19. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط/1، 2008م.

20. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب_ القاهرة ، ط/1، 2004م.

21. مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (ت 395 هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل _ لبنان، 1999م.

22. المقتصد في شرح التكملة، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني(ت 471 هـ)، تح: أحمد بن عبد الله الدرويش _ الرياض ، ط/1، د.ت .

23. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصر، نعمة رحيم العزاوي، منشورات المجمع العلمي العراقي، 1421هـ _ 2001م.

24. المنصف في شرح التصريف، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تح : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط/1، 1373هـ - 1954م.

25. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد ، منشورات جامعة قاريونس _ بنغازي، ط/1، 1996م .

الرسائل والاطاريح :

26. التعليل الصرفي في كتب الصرف حتى نهاية القرن الخامس الهجري، جبر جربوع فهد ، رسالة ماجستير، كلية الآداب _ الجامعة العراقية، 2018م .

27. الخلاف الصرفي وأثره في تيسير الصرف، أحمد صفاء عبد العزيز، أطروحة دكتوراه، كلية التربية _ جامعة الأنبار، 2011م .

البحوث والمجلات :

28. العلة النحوية بين القدماء والمحدثين، جمال نمر رباح، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد: 242، صفر _ 2014م .